

التدبير الشوري لمؤسسة الأسرة في الإسلام "التأصيل والمقاصد"

The Consultative Management of the Family Institution in Islam
"Foundation and Objectives"

✽ عبد الحق الإدريسي (*)

باحث، المغرب

البريد الإلكتروني: abdelhaqelidrissi@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025/01/04 تاريخ القبول: 2025/08/09

الملخص:

الشورى ضرورة من ضرورات الاجتماع البشري على مختلف مستوياته ومؤسساته، وخلق أصيل في الطبائع البشرية السليمة، فهي إذن كلية تشريعية يقوم عليها النظام السياسي والبناء التشريعي الإسلامي، وهي كذلك كلية تربوية ينبنى عليها نظام قيمي وخلقى يؤسس لقيم التعارف والتواصل والحوار والتعاون داخل مختلف المؤسسات، وعليه فهي من المبادئ العامة والمقاصد الكلية التي ينبغي أن يتمسك بها المسلمون أفراداً وأسرًا وجماعات، ودولاً ومؤسسات. ولهذا فمبدأ الشورى يتجاوز الحياة السياسية ليعم جميع شؤون الفرد والأسرة والجماعة، ويشمل جميع قضايا الحياة الاجتماعية والأسرية والسياسية. ومن ثم فمبدأ

(*) المؤلف المرسل

الشورى "أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن يكون نظاما سياسيا للدولة، إذ هو طابع أساسي للجماعة كلها"¹.

والمستقرى للنصوص الشرعية يجدها تؤكد أن الشورى قيمة قرآنية وخلق نبوي، فهي من القيم والتوجيهات والمفاهيم القرآنية الكلية التي تصاحب الأسرة في كل مراحلها وفي جميع قضاياها ضمانا لحسن بنائها، وتتمام استقرارها، وتفاديا لتشتتها وانتهائها، فقد جعل القرآن الكريم من قيمة الشورى الأسرية مبدءا تربويا وقاعدة خلقية أساسية. لذا؛ فالأسرة المسلمة المعاصرة التي تشكل خط الدفاع الأخير للمجتمع المسلم. تحتاج إلى الرجوع للقرآن الكريم لاستلها المبادئ والقيم التربوية التي تمكنها من الثبات والصمود، وتؤهلها للقيام بمسؤوليتها الحضارية في بناء الإنسان العابد المتخلق.

الكلمات المفتاحية: التدبير الشورى؛ القيم القرآنية؛ القيم التربوية؛ الشورى الأسرية.

Abstract:

Shura (consultation) is a necessity of human social life at various levels and institutions, and it is an inherent trait in sound human nature. It is, therefore, a legislative principle upon which the political system and Islamic legislative framework are built. It is also an educational principle that underpins a value and moral system that establishes values of acquaintance, communication, dialogue, and cooperation within various institutions. Consequently, it is one of the general principles and overarching objectives that Muslims—individually, as families, groups, states, and institutions—should adhere to. Thus, the

¹ - سيد قطب، في ظلال القرآن، 292/7.

principle of shura transcends political life to encompass all matters concerning the individual, family, and community, including all issues of social, familial, and political life. Therefore, the principle of shura is "deeper in the lives of Muslims than merely being a political system for the state, as it is a fundamental characteristic of the entire community."

A careful examination of the religious texts reveals that shura is a Qur'anic value and a prophetic trait. It is one of the values, directives, and comprehensive Qur'anic concepts that accompany the family at all its stages and in all its issues, ensuring its proper construction, complete stability, and avoidance of fragmentation and dissolution. The Holy Qur'an has established the value of familial shura as an educational principle and a fundamental moral foundation. Thus, the contemporary Muslim family, which forms the last line of defense for the Muslim community, needs to return to the Holy Qur'an to draw inspiration from the educational principles and values that enable it to remain steadfast and resilient, qualifying it to fulfill its civilizational responsibility in building a devout and morally upright individual.

Keywords: Shura management, Qur'anic values, educational values, familial shura.

مقدمة:

الشورى ضرورة من ضرورات الاجتماع البشري على مختلف مستوياته ومؤسسته، وخلق أصيل في الطوائف البشرية السليمة، جعلها الله تعالى سمة من سمات المجتمع المسلم، وصفة من صفات المؤمنين، فهي إذن كلية تشريعية يقوم عليها النظام السياسي والبناء التشريعي الإسلامي، وهي كذلك كلية تربوية ينبنى عليها نظام قيمي وخلقى يؤسس

لقيم التعارف والتواصل والحوار والتعاون داخل مختلف المؤسسات، ومن ثم فهي من المبادئ العامة والمقاصد الكلية التي ينبغي أن يتمسك بها المسلمون أفراداً وأسرًا وجماعات، ودولاً ومؤسسات.

فالشورى هي الطريق الصحيح لمعرفة أصوب الآراء، والوصول إلى جلاء الأمور، لأن العقول يكمل بعضها بعضاً، والآراء يؤازر بعضها بعضاً، وهي مظهر من مظاهر المساواة، وقيمة من قيم الحوار والتواصل، وركيزة لحرية الرأي وقبول الاختلاف، وهي الطريق لوحدة الأسرة واستقرارها، ووحدة الأمة وقوتها، فالشورى تؤسس لوحدة المشاعر الجماعية، عن طريق تأليف القلوب وتوحيد الآراء، وتعزز من شعور الفرد بقيمته داخل الأسرة والجماعة، وبأهمية رأيه في تدبير شؤونها، قال القرطبي عن الشورى إنها: "ألفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب"²، أما التصدي لشؤون الأسرة أو الجماعة بالرأي الفردي ففيه إجحاف وظلم وتجاوز لحقوق الآخرين، ولهذا فمبدأ الشورى يتجاوز الحياة السياسية ليعم جميع شؤون الفرد والأسرة والجماعة، ويشمل جميع قضايا الحياة الاجتماعية والأسرية والسياسية.. ومن ثم فمبدأ الشورى "أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن يكون نظاماً سياسياً للدولة، إذ هو طابع أساسي للجماعة كلها"³. لهذا انعقد هذا البحث تحت عنوان "التدبير الشورى لمؤسسة الأسرة في الإسلام، التأصيل والمقاصد"، سعياً للتأصيل الإسلامي لمنظومة القيم المنظمة لشؤون الأسرة المسلمة، والتأصيل لأساليب ومناهج التربية انطلاقاً من القرآن الكريم والسنة والسيرة النبوية، فالبناء

²- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ/1964م)، 37/16.

³- سيد قطب، في ظلال القرآن، 292/7.

الاجتماعي الرصين والتماسك الأسري المتين تُبنى دائمه وتُنسج خيوطه في المحضن الأسري السليم المرصوص، الذي يؤسس وفق القيم القرآنية والنبوية الحاكمة لبناء الأسرة وحفظ كيانها. قال النبي: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"⁴. فهذا ميزان نبوي قيبي يتضمن قيم المودة والرحمة، والإحسان والمعروف، واللين والعفو والصفح، وقد وُصف نبئ الرحمة، ثم أُمر في قوله تعالى: "فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر"⁵، وهو المؤيد بالوحي فليس لأحد بعده أن يطمع في اجتماع وتماسك وتآلف الأسرة أو المجتمع إذا ضُيعت هذه القيم، ولم ترع، لأن بها نحفظ عِقد الأسرة من الانفراط، ونقي شمل الجماعة من الانفضاض. وقد انتظم هذا البحث في مقدمة وأربع مسائل وخاتمة وفق ما يلي:

مقدمة

المسألة الأولى: مفهوم التدبير التشاوري

المسألة الثانية: تأصيل التدبير التشاوري

المسألة الثالثة: مقاصد الشورى الأسرية

المسألة الرابعة: خلاصات واستنتاجات

خاتمة

⁴ - رواه الترمذي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها.

⁵ - آل عمران ، 159.

المسألة الأولى: مفهوم التدبير التشاوري

1- مفهوم التدبير

التدبير في الأصل فعل من الأفعال التي تختص بالذات الإلهية كالخلق والإبداع، ومرجعه إلى تصيير حوادث العالم موافقة للنظام الذي ترتضيه حكمته، مفضية إلى المصلحة التي اقتضاها جوده⁶.
والتدبير إذا أضيف إلى الإنسان فالمقصود به كما قال الطاهر بن عاشور هو: "السعي إلى عمل مأذون بصورة غير صورته، أو بإيجاد وسائله"⁷.
فالتدبير إذن؛ نوع من النظر والاجتهاد، فهو اجتهاد ونظر لتدبير شؤون الأسرة وسياسة أمورها بكل الطرق المؤدية لحماية بنيانها، وتحقيق مصالحها، وهذا العمل الاجتهادي التدبيري تفكير جماعي وعمل تشاركي، لا يستقل فرد من أفراد الأسرة بالتصدي له. فالتدبير يقتضي تحديد الأهداف والعمل على توفير وسائل تحقيقها، والأخذ بالأسباب الموصلة لها.
وقد عرف ولي الله الدهلوي تدبير المنزل بأنه: "الحكمة الباحثة عن كيفية حفظ الربط الواقع بين أهل المنزل، وفيه أربع جمل: الزواج، والولادة، والملكة، والصحة"⁸.

⁶ - ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، تحقيق السيد سابق، دار الجيل، بيروت، 1426هـ/2005م، 42/1.

⁷ - الطاهر ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، (تحقيق محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثانية، 1421هـ/2001م) ص353.

⁸ - ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، (تحقيق السيد سابق، دار الجيل، بيروت، 1426هـ/2005م)، 88/2.

2- مفهوم الشورى

عرفت الشورى بتعريفات عدة تتفق أغلبها في المعنى ذاته، فقد عرفها الراغب الأصفهاني بأنها: "استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض"⁹.

وعرفها ابن العربي بقوله: "المشاورة هي الاجتماع على الأمر ليستشير كل واحد منهم صاحبه ويستخرج ما عنده"¹⁰.

وقال ابن عاشور: "هي أن قاصد عمل يطلب ممن يظن فيه صواب الرأي والتدبير أن يشير عليه بما يراه في حصول الفائدة المرجوة من عمله"¹¹.

ويؤخذ من هذه التعريفات أن:

- جوهر الشورى هو التفكير الجماعي التشاركي لتدبير شؤون الجماعة المعنية.

- مقصد الشورى هو الاجتماع على الأمر والتوافق على الرأي.

3- التدبير التشاوري

هو فتح المجال لكل أفراد الأسرة لتحمل مسؤولياته، والمشاركة في اتخاذ القرارات المهمة للأسرة، وهو السعي إلى تحقيق مصالح الأسرة وفق ما هو متاح وممكن حسب الظروف والأحوال.

⁹- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (تحقيق محمد سيد كيلاني)، ص207.

¹⁰- ابن العربي، أحكام القرآن، (دار الكتب العلمية) 297/1.

¹¹- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م)، 112/25.

التدبير التشاوري أو الشورى الأسرية واجب أخلاقي مندوب أو مستحب، وهي ذات طابع تربوي تنتج عنه أحكام وقيم تربوية ملزمة أخلاقاً، على خلاف الشورى العامة السياسية التي تنتج عنها أحكام وقواعد قانونية ملزمة قضاءً.

والتدبير التشاوري واجب أخلاقي، "يقصد به تربية الأفراد على ممارسة الاستشارة، وتبادل المشورة والتشاور قبل أن يتخذوا قراراً من اختصاصهم، سواء في شؤونهم الشخصية أو في شؤون عامة لهم الولاية في اتخاذ القرار بشأنها"¹².

المسألة الثانية: تأصيل التدبير التشاوري

أولاً: الشورى الأسرية في القرآن الكريم

"إن الشورى مبدأ شرعي يستمد قوته ووجوبه من القرآن، ويكتسب قوته من الصفة الإلهية للشريعة، إنه منهاج مرتبط بالعقيدة والشريعة، فهو عميق الجذور واسع النطاق في نفوس الأفراد وفي كيان المجتمع، إنه يوجد حيث توجد الشريعة والجماعة ولو لم توجد دولة"¹³.

المستقرئ لنصوص الوحي يجدها تؤسس لفكرة التشاور الأسري في كثير من المواقع، وبعده أساليب وعبارات، نعرض لبعضها فيما يلي:

الآية الأولى:

قال تعالى: "وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ

¹²- توفيق الشاوي، فقه الشورى والاستشارة، (دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة مصر، الطبعة الثانية، 1413هـ/1992م)، ص107.

¹³- توفيق الشاوي، الشورى أعلى مراتب الديمقراطية، (الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1414هـ/1994م)، ص35.

مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ¹⁴.

إذا وقع التفاهم والتراضي بين الزوجين المطلقين من أجل التراجع، وتم بينهما التوافق على استئناف العلاقة الزوجية، فلا يجوز للولي أن يمنع ذلك. والتراضي بالمعروف الواقع بين الزوجين هو فرع عن التشاور المفضي إلى الاتفاق حول المراجعة وحول بناء أسرة جديدة مستقرة. تُحفظ فيها حقوق جميع أطرافها¹⁵.

"(إذا تراضوا بينهم بالمعروف) أي: إذا تراضى مريدو التزوج من الرجال والنساء، بأن رضي كل من الرجل والمرأة بالآخر زوجا. وقوله: (بينهم) يشعر بأن لا نكر في أن يخطب الرجل المرأة إلى نفسها ويتفق معها على التزوج بها ويحرم حينئذ عضلها، أي امتناع الولي أن يزوجه منها إذا كان ذلك التراضي في الخطبة بالمعروف شرعا وعادة بالألا يكون هناك محرم، ولا شيء يخل بالمروءة ويلحق العار بالمرأة وأهلها¹⁶.

¹⁴ - البقرة، الآية 232.

¹⁵ - جاء في سبب نزول الآية في الصحيح، أخرج البخاري وأصحاب السنن وغيرهم بأسانيد شتى من حديث معقل بن يسار قال: "كان لي أخت فأتاني ابن عم لي فأنكحها إياه فكانت عنده، ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتى انقضت العدة، فهويها وهويتها، ثم خطبها مع الخطاب، فقلت له: يا لكع أكرمتك بها وزوجتكها فطلقها ثم جئت تخطبها؟ والله لا ترجع إليك أبدا، وكان رجلا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه فعلم الله حاجته إليها وحاجتها إلى بعْلِها فأنزل الله هذه الآية. قال: ففي نزلت فكفرت عن يميني وأنكحها إياه" صحيح البخاري، وأسباب نزول القرآن للواحدي، ص 50.

¹⁶ - تفسير القرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، (دار المنار، القاهرة، الطبعة 2، 1947م/1366م، 2/ 320

الآية الثانية:

"وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ
الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا
وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ
فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ
تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"¹⁷.

هذه الآية تتناول قضية من قضايا الأسرة، وقد أرجع القرآن الكريم
الفصل فيها إلى التشاور الأسري، وإلى التوافق بين المرء وزوجه، في أمر
الرضاع والفصال وهي من الأمور الأسرية التي أرشد القرآن الزوجين في
تدبيرها إلى التشاور والتواصل والتوافق حماية لحقوق الأبناء وخوفا من
ضياع مصالحهم إثر الخلاف الناشئ بين الزوج وزوجه.

فكون المرأة هي التي تمارس الإرضاع، لا يخولها التفرد بقرار توقيفه
أو تمديده، وكذلك الزوج، باعتباره صاحب القوامة والنفقة، لا يحق له
الاستبداد بأمر أولاده، فالأم شريكة له في تدبير شؤونهم، فلا بد أن يكون
ذلك كله ناشئاً "عن تراضٍ منهما وتشاور"¹⁸.

قال ابن كثير في تفسير الآية: "فإن اتفقا والدا الطفل على فطامه قبل
الحولين، ورأيا في ذلك مصلحة له، وتشاورا في ذلك، وأجمعا عليه، فلا جناح
عليهما في ذلك، فيؤخذ منه: أن انفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي،
ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك من غير مشاورة الآخر، قاله الثوري

¹⁷ - البقرة، الآية 223.¹⁸ - الريسوني أحمد: الشورى في معركة البناء (منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي،
مطبعة طوب بريس، الرباط، الطبعة الأولى، 1428 هـ / 2007 م) ص 17 - 18.

وغيره، وهذا فيه احتياط للطفل، وإلزام للنظر في أمره، وهو من رحمة الله بعباده، حيث حجر على الوالدين في تربية طفلهما وأرشدتهما إلى ما يصلحه ويصلحهما¹⁹.

وقد وسع الإمام الرازي من دائرة الشوري، واشترط مع موافقة الأبوين موافقة أهل الخبرة والتجربة، قال: "دلت الآية على أن الفطام في أقل من حولين لا يجوز إلا عند رضا الوالدين، وعند المشاورة مع أرباب التجارب، وذلك لأن الأم قد تمل من الرضاع فتحاول الفطام، والأب أيضاً قد يمل من إعطاء الأجرة على الإرضاع، فقد يحاول الفطام دفعاً لذلك، لكنهما قلما يتوافقان على الإضرار بالولد لغرض النفس، ثم بتقدير توافقهما اعتبر المشاورة مع غيرهما، وعند ذلك يبعد أن تحصل موافقة الكل على ما يكون فيه إضرار بالولد، فعند اتفاق الكل يدل على أن الفطام قبل الحولين لا يضره البتة، فانظر إلى إحسان الله تعالى بهذا الطفل الصغير كم شرط في جواز إقطاعه من الشرائط دفعاً للمضار عنه، ثم عند اجتماع كل هذه الشرائط لم يصرح بالإذن، بل قال: {لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} وهذا يدل على أن الإنسان كلما كان أكثر ضعفاً كانت رحمة الله معه أكثر وعنايته به أشد²⁰.

والحاصل أن الله عز وجل يأمر الوالدين بالتعويل على الشوري كمبدأ أساسي لتدبير أهم شأن من شؤون التنشئة والرعاية وهو الرضاع والفصال.

19- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير ابن كثير، (تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1420هـ/ 1999م، 1/ 635)

20- الفخر الرازي، التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب، (دار الفكر، الطبعة الأولى، 1401هـ/ 1981م، ص: 6/ 133).

الآية الثالثة:

"فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ"²¹.

في هذه الآية مشاورة نبوية لطيفة بين الأب وابنه، تدل على كمال التوافق والتفاهم داخل البيت النبوي، فمع أن الأمر أمر إلهي محسوم فقد استشار سيدنا إبراهيم ابنه عليهما السلام، فهذه الآيات تبين لنا بأنه لا يمنع العزم عن إنفاذ الرأي وظهور صوابه عن الاستشارة، "ألا ترى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أمر بذبح ابنه عزيمة لا مشورة فيها، فحمله حسن الأدب وعلمه بموقعه في النفوس على الاستشارة فيه، فقال لابنه قال: (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى)"²².

الآية الرابعة:

قال تعالى: "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ"²³.

فها هنا أمر ضمني بالشورى، فما دام هناك حكرمان فلا يمكن أن يكون تقدير الحالة واعتماد الحل الممكن إلا شورى وائتماراً بينهما، ثم اتفاقاً وتراضياً على الحل والمخرج²⁴.

²¹- الصفات، الآية 102.

²²- الطرطوشي أبو بكر، سراج الملوك، ص 78. المطبوعات العربية - مصر ١٢٨٩هـ،

١٨٧٢م

²³- النساء، الآية: 35

²⁴- الشورى في معركة البناء ص 19. (مرجع سابق)

الآية الخامسة:

قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِلزَّوْجِكِ إِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا"²⁵.

فهذا رسول الله بأمر من الله تعالى يحث زوجاته على مشاورة آبائهن وأمهاتهن قبل جوابهن على طلبه، حين وقعت بينه وبينهن جفوة لكثرة ما كن يخرجنه به من طلبات النفقة فأنزل الله في ذلك الآية.

قال ابن كثير: "هذا أمر من الله لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه، بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن، فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن، رضي الله عنهن وأرضاهن، الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة"²⁶

فقد عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر على نسائه، وطلب
منهن استشارة آبائهن، وخيرهن بما نصت عليه الآيتان، وبدأ بعائشة رضي
الله عنها، قالت: نزلت آية التخيير فبدأ بي فقال: إني ذاكرك أمراً ولا عليك
أن لا تعجلي حتى تستأمرى أبويك (وفي رواية أحب أن لا تعجلي حتى
تستشيرى أبويك) قالت: قد أعلم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقك. ثم قال:
إن الله قال {يا أيها النبي قل لأزواجك إني قوله عظيم} قلت: أفى هذا أستأمر

²⁵- الأحزاب ، آية: 28-29

²⁶- تفسیر ابن کثیر، 6/ 401. (مرجع سابق)

أبوي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ثم خير نساءه فقلن مثل ما قالت عائشة²⁷

الآية السادسة:

قال تعالى: "وأمرهم شورى بينهم"²⁸ وقال تعالى: "وشاورهم في الأمر"²⁹.

"والتعبير يجعل أمرهم كله شورى، ليصبغ الحياة كلها بهذه الصبغة. و هو نص مكي. كان قبل قيام الدولة الإسلامية. فهذا الطابع إذن أعم وأشمل من الدولة في حياة المسلمين. إنه طابع الجماعة الإسلامية في كل حالاتها، ولو كانت الدولة بمعناها الخاص لم تقم فيها بعد... ومن ثم كان طابع الشورى في الجماعة مبكراً، وكان مدلوله أوسع وأعمق من محيط الدولة وشؤون الحكم فيها. إنه طابع ذاتي للحياة الإسلامية، وسمة مميزة للجماعة المختارة لقيادة البشرية. وهي من ألزم صفات القيادة"³⁰.

الآية السابعة:

{وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا}³¹.

قال ابن كثير: "إذا كان النفور من الزوجين، فقال تعالى: {وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها} قال الفقهاء: إذا وقع الشقاق بين الزوجين، أسكنهما الحاكم إلى جنب ثقة، ينظر في أمرهما،

²⁷- صحيح مسلم، كتاب الطلاق.

²⁸- الشورى 38.

²⁹- آل عمران 159.

³⁰- في ضلال القرآن، سيد قطب، ص(مرجع سابق)

³¹- النساء: 35

ويمنع الظالم منهما من الظلم، فإن تفاقم أمرهما وطالت خصومتها، بعث الحاكم ثقة من أهل المرأة، وثقة من قوم الرجل، ليجتمعا وينظرا في أمرهما، ويفعلا ما فيه المصلحة مما يريانه من التفريق أو التوفيق وتشوف الشارع إلى التوفيق؛ ولهذا قال: {إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما}³².

فهذه الآية تتناول المجال الأسري بنظرة إصلاحية استباقية، وفيها إشارة مهمة إلى قيمة الشورى الأسرية في تدبير النزاع المتوقع بين الزوجين، وإصلاح الشقاق الذي تبدو بوادره لأهلها، فيبادر الأهل للإصلاح قبل وقوع الشقاق برضى الزوجين والأهل وبمشورتهم. وفي الآية إشارة إلى أن المهمة الأساسية للمشورة الواقعة بين الحكمين هي الإصلاح بين الزوجين، ولذلك ذكر التوفيق في الآية ولم يذكر ما يقابله من التفريق.

وبهذا نبه القرآن إلى أن المحيط العائلي الواسع الذي يحتضن الأسرة، والذي يشمل أهل الزوجين وأقاربهما والجيران وولي الأمر -لأن الخطاب في الآية موجه له على ما قال جمهور العلماء-، يجب أن يكون يقظا متنبها للأخطار والعقبات التي قد تهدد الأسرة، وتعترض استقرارها، وهذا الأمر من التيقظ والتنبيه لا يتم إلا إذا ساد داخل البيئة العائلية نوع من التشاور والتوافق والرغبة في الإصلاح لتدبير شؤون الأسرة وإصلاح أحوالها.

فالمكلف بمهمة الإصلاح الأسري "البيئة والمجال العائلي، إذن فلا ندع المسائل إلى أن يحدث الشقاق، كأن الإسلام والقرآن ينبهنا إلى أن كل الناس في محيط الأسرة يجب أن يكونوا يقظين إلى الحالات النفسية التي تعترض هذه الأسرة، سواء أكان أباً أم أماً قريباً، عليه أن يكون متنبهاً لأحوال الأسرة، ولا يترك الأمور حتى يحدث الشقاق... والذي سيتيسر له تطبيق هذا الأمر هم البارزون من الأهل هنا وهناك، وعلى كل من لهم

³²- تفسير ابن كثير، 2/ 296. (مرجع سابق)

وجاهة في الأسرة أن يلاحظوا الخط البياني للأسرة، يقولون: نرى كذا وكذا. ونأخذ حَكَمًا من هنا وحكماً من هناك وننظر المسألة التي ستؤدي إلى عاصفة قبل أن تحدث العاصفة؛ فالمصلحة انتقلت من الزوجين إلى واحد من أهل الزوج وواحد من أهل الزوجة"³³.

"وهذا يدل على نهاية العناية من الله تعالى في إحكام نظام البيوت الذي لا قيمة له عند المسلمين في هذا الزمان، وانظروا كيف لم يذكر مقابل التوفيق بينهما وهو التفريق عند تعينه، لم يذكره حتى لا يذكر به؛ لأنه يبغضه، وليشعر النفوس أنه ليس من شأنه أن يقع، وظاهر الأمر أن هذا التحكيم واجب، لكنهم اختلفوا فيه فقال بعضهم: إنه واجب، وبعضهم: إنه مندوب، واشتغلوا بالخلاف فيه عن العمل به؛ لأن عنايتنا بالدين صارت محصورة في الخلاف والجدل، وتعصب كل طائفة من المسلمين لقول واحد من المختلفين، مع عدم العناية بالعمل به، فها هم أولاء قد أهملوا هذه الوصية الجليلة لا يعمل بها أحد على أنها واجبة، ولا على أنها مندوبة، والبيوت يدب فيها الفساد، فيفتك بالأخلاق والآداب، ويسري من الوالدين على الأولاد"³⁴.

ثانياً: الشورى الأسرية في السنة النبوية

1- المشورة في قصة الإفك

قصة الإفك من النوازل التي شهدتها الأسرة النبوية، ومن القضايا التي داهمت الجماعة الإسلامية كلها، وقد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم قيمة الشورى أسلوباً لعلاج النوازل الأسرية ولتدبير القضايا العائلية، فعندما أشاع المنافقون القصة "دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً

³³- تفسير الشعراوي، 203/4.

³⁴- تفسير المنار، 65/5 (مرجع سابق)

بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحي يستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود، فقال: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيرا، وأما علي بن أبي طالب، فقال: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة، فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة، قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله، قالت: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا³⁵.

وقد اعتنى الإمام البخاري في صحيحه برواية قصة الإفك وما دار فيها من مشاورات ومناقشات ومداولات في كتاب المغازي وكتاب التفسير، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وكرر ذكر جوانب من الشورى في قصة الإفك، ويدل صنيع الإمام البخاري هذا على عظيم اهتمامه بإبراز شورى الرسول في القضايا الشخصية العائلية، وكل هذا يثبت أن حياة الفرد المسلم والمجتمع المسلم قائمة على أساس شوري متين.³⁶

2- مشاورة النبي لأم سلمة في الهدي بعد صلح الحديبية:

³⁵- صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف.

³⁶- الشورى في ضوء القرآن والسنة، حسن ضياء الدين محمد عتر، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة الأولى، 2001 م/1422 هـ، ص 110-111.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه بعد صلح الحديبية: "قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالِقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بُدْنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما"³⁷.

3- استشارة البنات في أمر زواجهن

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تنكح الثيب حتى تستأمر. ولا البكر حتى تستأذن وإذنها الصموت"³⁸.
وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اليتيمة تستأمر في نفسها فإن صمتت فهو إذنها وإن أبت فلا جواز عليها"³⁹.
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الأيّم أولى بنفسها من وليها والبكر تستأمر فإن صمتت فهو رضاها"⁴⁰.
وعن ابن بريدة عن أبيه قال: "جاءت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فقالت إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته قال فجعل الأمر إليها. فقالت قد أجزت ما صنع أبي. ولكن أردت أن تعلم الآباء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء"⁴¹.

³⁷- صحيح البخاري، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

³⁸- سنن ابن ماجه، باب استثمار البكر والثيب. وسنن الترمذي باب استثمار البكر والثيب.

³⁹- سنن الترمذي باب إكراه اليتيمة على التزويج.

⁴⁰- سنن الدارقطني، كتاب النكاح.

⁴¹- سنن ابن ماجه، باب من زوج ابنته وهي كارهة.

قال ابن عباس: "تستأمر الحرة في العزل ولا تستأمر الأمة"⁴².

والأحاديث النبوية كثيرة في الحث على استثمار البنات ومشاورتهم في شأن زواجهن، وأن الأمر ليس للآباء، وليس لهم الاستبداد به أو الاستقلال بالنظر فيه دون مشورة بناتهم أو أخذ موافقتهن ورضاهن.

المسألة الثالثة: مقاصد الشورى الأسرية

الشورى إذن من مستلزمات الشريعة الإلهية، فهي ليست مقصورة على تنظيم الجماعات والدول التي تقطع شوطاً من العلم والتقدم والعمران، وإنما هي من أسس بناء الاجتماع البشري على مختلف مستوياته، وعلى تعدد مؤسساته، وهي من حاجيات الطبائع البشرية. إن انخراط كل أفراد الأسرة في العملية التشاورية لقضاياها وأمورها، من شأنه أن يربي أفرادها على قيم تحمل المسؤولية، والمشاركة الواعية الإيجابية في تدبير كل شؤونها، والتصدي للسلبية التي يقبع فيها كثير من الشباب والنشء تجاه قضايا الأسرة، نتيجة المبالغة والإفراط في التواصل الافتراضي بواسطة وسائل التواصل الحديثة التي تجعل الشباب منعزلين عن أسرهم جاهلين لقضاياها ونوازلها، بعيدين عن همومها وحاجياتها كأنهم ضيوف في منازلهم.

من بركات الشورى على الأسرة أن القرار الذي نتج عن الشورى إذا لم ينجح لا يتحمل فرد من أفرادها مسؤولية الإخفاق فيه، ويعلم أن امتناع النجاح بعد الأخذ بالأسباب واتباع الشورى محض قدر، ولذلك قيل التدبير قبل العمل يؤمن من الندم.

⁴²- السنن الكبرى للبيهقي، باب مَنْ قَالَ: يَعْزِلُ عَنِ الْحُرَّةِ بِإِذْنِهَا وَعَنِ الْجَارِيَةِ بِغَيْرِ إِذْنِهَا وَمَا رُويَ فِيهِ.

فعندما تعم الشورى داخل الأسرة وتصبح سجية من سجايها، فيقع التشاور بين الزوجين بمحضر الأبناء، ويستشير الآباء أبناءهم، فإن ذلك يشعر الأبناء والأزواج بعلو شأنهم ورفعة قدرهم، وسمو مكانتهم، مما يقتضي شدة المحبة والود بينهم، ويحول بين القلوب وبين التعكر، ويصون القلوب والضمائر من الأحقاد والضغائن، ولو عُدمت المشورة بين أفراد الأسرة، واستقل كل منهم برأيه، واستبد كل واحد منهم بقراره، وأهتم بشأنه الخاص دون مشاركة الآخرين، فإن ذلك يؤدي إلى كثرة وقوع الأخطاء والزلات من قبل بعض أفراد الأسرة ممن تقل تجربتهم وخبرتهم -خاصة الأطفال-، كما يؤدي إلى نوع من الطلاق والانفصال العاطفي، وإلى وجود هوة وحواجز نفسية وجفاء في الحياة الأسرية يقلل أو يمنع من تحقيق التواصل الإيجابي. وقد ينشأ عن كل ذلك الجفاء والنفور والتفكك والتشتت.

وهذا تقدم الشورى للأبوين وسيلة تربية مهمة لتدريب الأبناء على تمثل كثير من القيم والأخلاق، كالقدرة على الحوار والتواصل، والقدرة على التعبير عن الرأي وتقديم وجهة النظر في القضايا المعروضة على التشاور الأسري، فكثير من الأبناء والنساء لا يستطيعون التعبير عن آراءهم أو إبداء مواقفهم خارج الأسرة لأنهم لم يتعودوا ذلك في بيوتهم، مما يؤثر على قدراتهم التواصلية واستعداداتهم التعليمية.

ويمكن الشورى الأبوين من تمرير النصائح والرسائل التربوية في أسلوب تربوي سلس بعيدا عن الأوامر السلطوية والقرارات الفوقية. لأنه عندما يشارك الأبناء في تداول قيمة معينة، أو تناول خلق ما، فذاك يكون أدعى لهم للالتزام به طوعا واختيارا.

إن شيوع قيمة الشورى داخل الحياة الأسرية يمكن الأبوين من اكتشاف كفايات أبنائهم وملكاتهم، ويؤهلهم لمعرفة مواهبهم وقدراتهم، مما يسمح للأبوين من تبيين وجه المهمات التي يمكن أن تُسند لكل ابن، ونوع الأعباء التي يتحملها، ومقدار المسؤولية التي يُكلف بها.

إن الشورى تتضمن معاني التضامن والتعاون والتآزر على تدبير القضايا المشتركة، والحياة الأسرية هي أكثر المؤسسات حاجة إلى الشورى لكثرة القضايا المشتركة، وعندما تعم الشورى داخل الأسرة تصير الأرواح بتداول الآراء متطابقة متوافقة على تحصيل أصلح الأمور للأسرة. ومن ثم لا يليق الحديث عن رئيس ومروؤوس داخل الأسرة، لأن الأسرة إذا التزمت التدبير التشاوري تصبح وحدة متضامنة مترابطة متكاملة متحدة.

وعليه فالشورى تمكن الأسرة من تحصين الأبناء من كثير من القيم السلبية، ومن ثم يجب على الأسرة أن تتخذ من الشورى منهجاً تربوياً وأسلوباً تعليمياً، وأن تحرص على تعليمهم قيم التشاور كما تحرص على تعليمهم الصلاة، لأن تصرف الطفل في المجتمع، يعكس ما تلقاه من قيم وأخلاق داخل الأسرة، إذ لا يمكن تربية الفرد المسلم تربية سياسية سليمة، وتهينته للاندماج والانخراط المسؤول داخل المجتمع، بحيث يكون مواطناً صالحاً مصلحاً، ما لم يكن قد تعلم قيم الشورى وتدريب عليها في بيته ومدرسته ومسجده، وتزود بالقيم التي تساعد على ذلك.

إن شيوع الشورى داخل الأسرة وتحويلها في قضاياها على التدبير التشاوري من شأنه أن يغلق أبواب النقد والطعن، ويمنع أسباب المعاتبة واللوم، فإن التدبير الشورى تدبير وتفكير جماعي ينسب للأسرة كلها، فلا لوم ولا طعن ولا عتاب على أحد.

إذن فالشورى مدرسة تربوية قيمة للأسرة والجماعة المسلمة، يتربى فيها الفرد على قيم التواصل والحوار وقبول الاختلاف وحرية الرأي، والاعتراف بالآخر، "فالشورى تربية للفرد على أداء وظيفته الاجتماعية عن طريق تهيئة الفرصة له ليرز في المجتمع، فيربي ملكاته، وينمي قدراته حتى يكون أهلاً للمشورة"⁴³. إن ممارسة الشورى في حياة الأمة في جميع شؤونها السياسية والعسكرية والاجتماعية، منهج تربوي كريم، سار عليه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في حياته⁴⁴.

"إن الشورى في الإسلام ليست ممارسة سياسية معزولة وإنما هي نظام حياة، فهي في الشعائر والأسرة والجوار والمجتمع والمعاملات الاقتصادية والعلم والسياسة"⁴⁵.

المسألة الرابعة: خلاصات واستنتاجات

من نصوص الوحي السابقة ومن الإشارات واللطائف التي تفتن لها علماء التفسير في بيان الآيات السابقة نستنتج الخلاصات التالية:

1- إن الاعتماد على التدبير التشاوري داخل الأسرة فيه التزام بمنهج الله في الحياة اليومية وفي الشأن الخاص الأسري، وفيه كذلك اقتداء بسيد المرسلين الذي جعل من الشورى أسلوب حياة ومنهج حكم

2- إن التدبير التشاوري لإصلاح أحوال الأسرة يصاحب الحياة العائلية في كل مراحلها، ويعمها في كل قضاياها ونوازلها. فالشورى خلق

⁴³ - الشورى في ضوء القرآن والسنة، ص 136.

⁴⁴ - أحمد الإمام، الشورى، ص 31.

⁴⁵ - سعيد بن سعيد العلوي، الإسلام والديمقراطية، ص 91.

أساسي وقيمة عظيمة في بناء الأسرة، فقد حث النبي على استشارة البنات قبل تزويجهن، وأمر القرآن بالتعويل على الشورى لتدبير القضايا الأسرية وإصلاح الحياة العائلية ومواجهة النزاعات والصعوبات أثناء العلاقة الزوجية، وأمر في حالة بدو أسباب الشقاق وظهور بوادره إلى الاعتماد على التدبير التشاوري لعلاج الشقاق والنفور المتوقع بين الزوجين، وطلب من الأهل والأقارب تحمل المسؤولية واستباق الأمر باختيار الحكمين برضى الزوجين ليتشاورا في أمر الأسرة، وينظرا فيما يصلحها ويدفع عنها الشقاق والنزاع، وألزم القرآن الكريم الزوجين برعاية حقوق الأبناء عند استحالة استمرار العشرة بينهما، بأن جعل تدبير مصالح الأبناء فيما يخص رضاعهم وفصالهم وتنشئتهم شورى بيت الأبوين معا. وحتى إذا تشاور الزوجان واتفقا على الرجعة فلا يملك الأولياء منع ذلك.

3- كل القضايا غير القطعية من شؤون الأسرة تدخل في نطاق التدبير التشاوري الأسري، فالشورى قيمة أساسية لتدبير شؤون الأسرة وقضاياها، وقد اعتبر صاحب المنار الشورى والتراضي من الأصول والقواعد الشرعية العامة التي نصت عليها سورة البقرة، وعدها من دعائم بناء الحياة الزوجية ومن أسس التربية، قال: "بناء أمور الزوجية والبيوت وتربية الأولاد على أربع دعائم:

- قيام النساء بالأمور التي تقتضيها وظيفتهن كالرضاعة وغيرها من أمور تربية الأطفال، ويقوم الزوج بالنفقة كلها.

- ألا يكلف كل منهما ما ليس في وسعه مما يدخل في حدود وظيفته والواجب عليه.
 - لا يضار أحد منهما بالولد، ولا بغيره بالأولى، والمضارة دون تكليف ما ليس في الوسع
 - إبرام الأمور غير القطعية بالتراضي والتشاور⁴⁶
- ولو عمل المسلمون بهذه القواعد وأمثالها من أحكام الكتاب والسنة لكانوا أسعد الأمم في بيوتهم، ولما وجد من أعدائهم ولا من زنادقتهم من يهذي بإسناد ظلم النساء إلى الإسلام، أو حاجة المسلمين إلى تقليد غيرهم في شيء من إصلاح البيوت (العائلات)⁴⁷.
- 4- إن من يعتاد المشاورة حتى فيما هو واضح جلي لا يمكن أن يتنكبها فيما هو غامض وخفي، فكون الشورى مسنونة ومحمودة ومفيدة في قضايا قطعية ومحسوسة، إنما هو إيدان بمدى ضرورتها ولزومها وأولويتها فيما تتعدد فيه الوجوه والإشكالات وتتضارب فيه الأنظار والاحتمالات⁴⁸
- 5- إن من يعتاد الشورى كسلوك تربوي، ويتشربها كخلق يومي داخل الأسرة، ويعتاد ما تقتضيه الشورى من منظومة قيمية أخرى من قبيل التواصل والحوار وقبول الاختلاف والاعتراف بالآخر، ويتربى على ذلك في الحياة الأسرية، ينعكس ذلك على سلوكه الاجتماعي

⁴⁶- تفسير المنار، 1/ 99.

⁴⁷- تفسير المنار، 1/ 100.

⁴⁸- الشورى في معركة البناء ص 17.

والسياسي، فينخرط في شؤون مجتمعه وأمته بكل مسؤولية وإيجابية، وقد تفتن صاحب المنار إلى هذا الربط بين إيجاب الشورى في إصلاح حال الأبناء، وضرورتها لإصلاح حال المجتمع والدولة. يقول: "إذا كان القرآن يرشدنا إلى المشاورة في أدنى أعمال تربية الولد ولا يبيح لأحد والديه الاستبداد بذلك دون الآخر فهل يبيح لرجل واحد أن يستبد في الأمة كلها وأمر تربيتها وإقامة العدل فيها أعسر ورحمة الأمراء أو الملوك دون رحمة الوالدين بالولد وأنقص"⁴⁹.

6- القرارات المتعلقة بتعليم الأبناء الصغار، من حيث مكانه ونوعه ومدته، واستمراره وانقطاعه أو المتعلقة بصحتهم وبإقامتهم وسفرهم، وسائر أنشطتهم، ما يقبل منها وما لا يقبل، وما يشجع منهما وما لا يشجع وكذلك المتعلقة بتوجيههم المهني أو بتزويجهم إذا كانوا متوقفين على التوجيه والمساعدة من آبائهم وأمهاتهم .. كل هذا وغيره يحتاج إلى تدبير شورى مشترك بين الوالدين، أو بينهما وبين الولد نفسه إذا أصبح له تميز ونظر وتستحسن مشاورة الصغار أنفسهم لأجل تعليمهم وتدريبهم وتأديبهم بأدب المشاورة⁵⁰.

7- تبين أن الشورى من أهم عوامل صلاح الحياة الإنسانية، والاجتماعية والأسرية، ومن أعظم دعائم بناء الحياة الأسرية التي

⁴⁹- تفسير المنار، 2/ 328.

⁵⁰- الشورى في معركة البناء ص 19.

يسود بين أفرادها قيم التضامن والتعاون، وبذلك فإصلاح الأسرة وصلاحها وحسن بنائها والحفاظ على استقرارها يتوقف على قدر القيم والخلق التي تسودها، ولعل الشورى هي أهم هذه القيم وأعظمها، يقول الألوسي: "والشورى على الوجه الذي ذكرناه من جملة أسباب صلاح الأرض... وإذا لم تكن على ذلك الوجه كان إفسادها للدين والدنيا أكثر من إصلاحها"⁵¹.

خاتمة

إن الأسرة المسلمة المعاصرة التي تشكل خط الدفاع الأخير للمجتمع المسلم، تجاه الهجمة الإعلامية الغربية التي تهدد كل أسسها التربوية، وتستهدف كل مكوناتها وثوابتها القيمية. تحتاج إلى الرجوع للقرآن الكريم لاستلها المبادئ والقيم التربوية التي تمكنها من الثبات والصمود، وتؤهلها للقيام بمسؤوليتها الحضارية في بناء الإنسان العابد المتخلق، المتمسك بدينه، الواثق في عقيدته، القادر على التواصل مع محيطه. ومن هذه القيم والتوجيهات والمفاهيم القرآنية التي تصاحب الأسرة في كل مراحلها، قيمة التشاور بين مختلف مكوناتها لضمان حسن بنائها، وتمازج استقرارها، وتفادي تشتتها وانتهائها، فقد جعل القرآن الكريم من قيمة الشورى الأسرية مبدءاً تربوياً وقاعدة خلقية أساسية. والحاصل أن الشورى قيمة تربوية وخلقية عظيمة لإصلاح الأسرة والجماعة والدولة، وأنها ضرورة من ضرورات الحياة الشخصية والحياة العامة، وأنها ليست قيمة ثانوية أو معلماً تحسينياً، أو شعاراً خطابياً، بل

⁵¹ - الألوسي محمد ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إدارة الطباعة

هي قيمة قرآنية وخلق نبوي، ويكفي أهميتها أن النبي التزم بها في الشأن الأسري وفي الشأن العام مع استغنائه عنها، وأنه مع كمال عقله وتمام علمه وهو المؤيد بالوحي كان يعول عليها في القضايا الأسرية والنوازل العامة.

لائحة المصادر والمراجع

- ابن العربي، أحكام القرآن، (دار الكتب العلمية)
- ابن عاشور الطاهر: مقاصد الشريعة الإسلامية (تحقيق محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثانية، 1421هـ/2001م)
- ابن عاشور الطاهر، التحرير والتنوير، (الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م)
- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل، تفسير ابن كثير، (تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1420هـ/1999م)
- الألوسي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (إدارة الطباعة المنيرية، مصر)
- حسن ضياء الدين محمد عتر، الشورى في ضوء القرآن والسنة، (دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة الأولى، 2001م/1422هـ)
- الدهلوي ولي الله، حجة الله البالغة، (تحقيق السيد سابق، دار الجيل، بيروت، 1426هـ/2005م)
- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (تحقيق محمد سيد كيلاني)
- الريسوني أحمد: الشورى في معركة البناء (منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مطبعة طوب بريس، الرباط، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م)
- الشاوي توفيق، الشورى أعلى مراتب الديمقراطية، (الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1414هـ/1994م)
- الشاوي توفيق، فقه الشورى والاستشارة، (دار الوفاء، المنصورة مصر، الطبعة 2، 1413هـ/1992م)
- الشعراوي محمد متولي، تفسير الشعراوي. (مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧م)

- الطرطوشي أبو بكر، سراج الملوك. (المطبوعات العربية - مصر ١٢٨٩هـ، ١٨٧٢م)
- الفخر الرازي، التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب، (دار الفكر، الطبعة الأولى، 1401هـ/1981م)
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ/1964م)
- محمد الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، (إدارة الطباعة المنيرية، مصر)
- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (دار المنار، القاهرة، الطبعة الثانية، 1947م/1366م)